الثورة الثلاثاء 24 ذو الحجة 1431هـ الموافق 30 نوفمبر 2010م العدد (16820)

التسلسل الواقعي للكفاح المسلح..

من صنعاء كانت البداية، ومن ردفان الانفجار، وفي عدن حصل الجلاء والاستقلال

● عقب قيام الثورة السبتمبرية المباركة في 26 سبتمبر 1962م، وبعد أن انخرط في صفوفها المئات من أبناء المحافظات الجنوبية دفاعاً عن النظام الجمهوري والثورة الوليدة، جرت في صنعاء محادثات بين فرع حركة القوميين العرب وغيرها من المنظمات العلنية وغير العلنية في المحافظات الجنوبية والشرقية، وفي هذه المحادثات اتخذ قرار بإنشاء الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل على أساس الاعتراف بالثورة المسلحة كأسلوب وحيد وفعال للقضاء على الاستعمار.

وفي أعسطس عام1963 م نشر البيان التأسيسي للجبهة القومية، وبعد مضي عام - في مايو1964 م نشرت الوثيقة الموضحة للخط السياسي لهذا التنظيم، وأكدت الوثيقة على أن الجبهة القومية كانت ولا تزال ترى بأن النضال المسلح هو الطريق لحل قضية الجنوب، هي الممثلة لقوى النضال اليمنية. ورفعت الجبهة القومية المطالب التالية: ضمان حق تقرير المضير، والقضاء على جميع القواعد العسكرية الأجنبية في الجنوب، ومنح البلاد حريتها الكاملة.

وباسم الشعب أعلنت الجبهة القومية بأنها لم ولن تتردد عن تنفيذ هذه الأهداف، وسوف تواصل نضالها حتى النصر، ومن المهم الإشارة إلى أنه خلال تأسيس الجبهة أُعلن بأنها مفتوحة لجميع أنصار النضال المسلح، ودخل في الجبهة القومية عدد من المنظمات الثورية والنضالية، واجتذبت إلى صفوفها الطلاب والمثقفين والعمال ومارست نشاطاتها من خلال تنظيمات صغيرة كانت واقعة تحت تأثير الفرع اليمني لحركة القوميين العرب الذي لعب الدور الحاسم في تأسيس الجبهة القومية.

تحقيق/فايز البخاري

> تبني صنعاء 1963م لحركة المقاومة ضد الاستعمار عجل بتفجير الثورة المسلحة

> تناقضات فصائل النضال عكست ما كان حاصلاً بين المنظمات العربية

> استخدم الانجليز ضد الثوار المدرعات والمدفعية الثقيلة والطائرات

> قضى الانجليز على المباني السكنية والأراضي الزراعية وشرد آلاف المواطنين

> على إثر حادثة مطار عدن انتقلت الثورة إلى مرحلة الهجوم الكاسح

أعداء القضية

لقد شكلت الاصطدامات المسلحة في ردفان١٤ أكتوبر عام١٩٦٣ م بين القوات الانجليزية والقبائل العائدة من صنعاء بعد حربها وقتالها في صفوف النظام الجمهوري، بداية للنضال والكفاح المسلح من أجل تحرير الجنوب اليمني من الاستعمار البريطاني، وكان على رأس هذه القبائل الشهيد الشيخ غالب بن راجح لبوزة الذي يعد أول شهداء الثورة الأكتوبرية.

وأخذت الانتفاضة المسلحة في ردفان أوسع مدى لها وتطورت إلى ثورة، إلا أنه لم تكن توجد بين مفجريها وحدة كاملة وترابط تام. وهذا في الواقع الحال عكس التناقضات بين المنظمات السياسية نفسها، والذي اعتبر بدوره نتيجة التناقضات التي عرفت في ذلك الوقت بين المنظمات العربية وعلى وجه الخصوص حزب البعث العربي الاشتراكي، وأنصار عبدالناصر، وحركة القوميين العرب.

أيد الماركسيون والمنضمون في الاتحاد الشعبي الديمقراطي فكرة النضال المسلح، ودعموا بحزم قيام الجبهة القومية، غير أن الاتحاد الشعبي الديمقراطي لم يستطع الإنضمام إلى الجبهة القومية، إذ أن قيادة حركة القوميين العرب على مستوى العالم العربي كانت ترى في الماركسيين – آنذاك – أعداء القضية العربية.

انتقلت الثورة المسلحة في ردفان وبشكل سريع إلى أجزاء أخرى من المحافظات الجنوبية، واستخدم الانجليز في عملياتهم الحربية ضد المنتفضين الدفعية الثقيلة والمدرعات وآلافا من الجنود، وابتداءً من ديسمبر عام١٩٦٣ م شملت الحرب المسلحة وبشكل مباشر مدينة عدن نفسها ويمكن اعتبار بدايتها بتلك الانفجارات التي حدثت في مطار عدن في١٠ ديسمبر١٩٦٣م، والتي كان من نتائجها قتل مساعد القائد الأعلى لعدن، وإصابة القائد الأعلى نفسه كينيدي تريفاسكس و ٢٢شخصاً آخرين.

حملات متوالية

خلال عامي١٩٦٤ م،١٩٦٥م شهدت العمليات المسلحة ضد الانجليز تفاقماً واتساعاً، والتي قادتها الجبهة القومية، وفي الوقت نفسه لم تتكر الجبهة القومية الأشكال النضالية الأخرى التي تخدم مسألة التحرر الوطني للشعب اليمني.

وقد لعبت منشورات صحيفة التحرير الصادرة عن الجبهة دوراً ملموساً في الدعاية لأفكار الثورة الشعبية، وشن الانجليز أكثر من حملة تأديبية ضد الثوار. ومن يناير إلى أغسطس١٩٦٤ م فقط نفذ الانجليز خمس حملات تأديبية، واشترك في البعض من هذه الحملات ما يقارب ثلاثة آلاف جندي، كما استخدم فيها سلاح الطيران.

وقضى الانجليز ليس فقط على المباني السكنية، بل وعلى المساحات الزراعية، وكان من نتيجة ذلك اضطرار عشرات الآلاف من الفلاحين الهروب إلى المحافظات الشمالية. وإبان تلك الحرب والحملات المتوالية كانت قوات الانجليز تفوق قوات الثوار عدة مرات.

وفي هذه الفترة وعلى إثر حادثة مطار عدن شهدت المدينة عدة عمليات مسلحة في مناطق متفرقة ومن ثم انتقلت الثورة إلى مرحلة الهجوم الكاسح ضد الاستعمار وأعوانه، وبرزت أمام الجبهة القومية مسألة وضع استراتيجية للنضال الثوري.

قيادة عامة

في١٣ يناير١٩٦٦ م تم تشكيل جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل، وكان هذا التشكيل بداية لانفراط عقد المقاومة اليمنية ودخولها في ما بعد بصراع دموي انتهى بانتصار الجبهة القومية على جبهة التحرير وكان الخلاف بين الجبهتين نابعاً من التناقض الطبقي، فجبهة التحرير تمثل – كما يرى بعض الباحثين – مصالح السلاطين والبورجوازية العدنية، بينما تمثل الجبهة القومية العمال والفلاحين والقطاع التقدمي في البرجوازية الوسطى.

وعلى الرغم من قيام جبهة التحرير وانضمام بعض السلاطين لها كالسلطان أحمد عبدالله الفضلي والأمير جعبل بن حسين ورابطة أبناء الجنوب، والتي كانت تؤمن بوسائل النضال السلمي، إلا أن الجبهة القومية – كما يذكر مناصروها – واصلت الكفاح المسلح.

وفي الفترة من ٨ إلى ١١ يونيو١٩٦٦ م عقد في مدينة جبلة بمحافظة إب المؤتمر الثاني للجبهة القومية، حيث انتخب فيه قيادة عامة للجبهة فاز فيها: عبدالفتاح إسماعيل، سيف الضالعي، محمد علي هيثم، علي أحمد ناصر عنتر، وغيرهم من العناصر النشطة في العمل الفدائي.

وخرج من عضوية القيادة العامة للجبهة القومية ثلاثة أعضاء فقط هم الذين وافقوا على قرار إنشاء جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل: طه مقبل، سالم زين، علي السلامي.

ولكن ونظراً للحالة الصعبة والمعقدة الناشئة في المحافظات الجنوبية لم يتخذ مؤتمر جبلة أي قرار بشأن الخروج من إطار جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل، وقد أوضح قادة الجبهة القومية مواقفهم تجاه جبهة التحرير في المؤتمر الثاني بجبلة على النحو التالي:

على الرغم من قرار يناير التعسفي الذي اتخذ من وراء ظهر الجبهة القومية وبدون علمها وبدون اي اعتبار لمواقفها فقد سعينا من اجل ان يكون نشاط الجبهة قائماً على اسس ديمقراطية تضمن وتكفل حركة الشعب الثورية المسلحة على طريق التحرر الوطني ومن أجل هذا وبعد قرار يناير اقر مؤتمر جبلة البقاء ضمن جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل موضحين في ظل ذلك الوضع مبادئهم التي يجب ان تقوم على اساسها الوحدة بين الجبهتين ومنها معارضة مشاركة السلاطين في النضال الوطني للتحرر من الاستعمار باعتبارهم اذيالاً له.

تاريخ الانفصال

في الاول من يونيو١٩٦٦ م جرت في عدن ومدينة الشيخ عثمان مسيرة واسعة ضد محاولة قادة جبهة التحرير الخاصة بانشاء ما يسمى بالمجلس الوطني بدون مشاركة ممثلي الجبهة القومية في هذا المجلس واشترك في هذه المسيرة العمال والطلاب والنساء وممثلون عن فئة المثقفين.

وفي ٩ يونيو وجه ما يقارب من مائة معتقل سياسي في سجن المنصورة بياناً ادانوا فيه نشاط جبهة التحرير الموجة ضد الجبهة القومية.

واكد البيان على ان الجبهة القومية هي المنظمة الوحيدة في عدن وجميع المحافظات الجنوبية والشرقية الرازحة تحت الاحتلال والتي أخذت على عاتقها خوض النضال المسلح في مختلف مناطق الجنوب اليمني وهي المعبرة الوحيدة عن مصالح الشعب والمناضلة بحزم من اجل تحرير البلاد من نير الاحتلال البريطاني.

وفي ١٤ اكتوبر١٩٦٦ م وبمناسبة الذكرى الثالثة لبداية الانتفاضة المسلحة قادت المنظمات القاعدية للجبهة القومية مسيرات شعبية جماهيرية طالب المشتركون فيها بالانفصال الرسمي عن جبهة التحرير واصبحت مرحلة الشك والتخوف على مستقبل النضال المسلح الذي عانى منه أعضاء الجبهة القومية امراً من امور الماضي المنصرم.

ويعتبر هذا اليوم الذي جرت فيه المسيرة هو تاريخ انفصال الجبهة القومية عن جبهة التحرير وقد اكد هذا الانفصال رسمياً من خلال المؤتمر الثالث.

مرحلة حاسمة

إن الانفصال عن جبهة التحرير التي كانت على علاقة وطيدة بمصر وقيادة الجمهورية في صنعاء ادى إلى فقدان الجبهة القومية بعض المعونات التي توالت في ما بعد من محافظة اب ومحافظة البيضاء كما اقر بذلك بعض رموز قادة الجبهة القومية الميدانيين مثل علي عنتر وصالح مصلح وعلي شايع الذين كانوا على اتصال وتواصل دائم بقائد لواء اب الشهيد احمد بن احمد الكبسي ومن بعده قائد لواء اب حسين شرف الكبسي.

لقد شكل المؤتمر الثالث الذي عقد في خمر مرحلة حاسمة في تطوير الثورة اليمنية ضد الاستعمار البريطاني فعقب هذا المؤتمر اكتسبت الثورة اوسع مدى لها وطبيعة شعبية صادقة.

وفي المرحلة الاخيرة من الكفاح المسلح اصبحت الجبهة القومية وبحق هي المنظمة السياسية الوحيدة القائدة لهذا النضال الذي قوبل بالدعم والتأييد من قبل الاتحاد الشعبي الديمقراطي وابتعدت رابطة ابناء الجنوب عن أوسع جماهير الشعب في عدن والمحميات اما قياداتها فقد سارت على طريق الارتباط ببعض الاطراف الخارجية وهذا بدوره ادى إلى منع نشاطات الرابطة داخل المحافظات الشمالية وفي ١١ فبراير عام ١٩٦٧م شهدت مدينة عدن مظاهرة عامة دعا منظموها إلى مقاطعة الاحتفالات بالذكرى الثامنة لقيام اتحاد الجنوب العربي وقد دعا لهذه المظاهرة كل من جبهة التحرير والجبهة القومية وقيادات المؤتمر العمالي بشكل مستقل ووجهت السلطات البريطانية الفي جندي لقمع هذه المظاهرة وتطبيق حظر التجوال كما اعتقل ما يقارب الالف شخص.

وفي ٢ ابريل حدث في عدن وبدعوة من الجبهة القومية وجبهة التحرير إضراب شامل وسعياً من اجل تعميق مواقعها في النضال التحريري الوطني وجهت جبهة التحرير مذكرة إلى الامين العام المنظمة الامم المتحدة ومثلها للامين العام للجامعة العربية وممثلي عدد من حكومات البلدان العربية قبيل حضور وفد الامم المتحدة إلى عدن بعدة أيام واكدت المذكرة بانه من المستحيل ان تستطيع الامم المتحدة تنفيذها، وذلك لأن السكان في عدن والمحميات محرومون من إمكانيات التعبير عن آرائهم بحرية كما ان البلاد يسودها جو من الارهاب وحملات الاعتقال الواسعة وخاصة للعمال والطلاب والموظفين.

ممثل شرعي.

وذهبت قيادة جبهة التحرير إلى ماهو ابعد من ذلك حيث اعلنت اعترافها بشرعية وقانونية الكفاح المسلح على لسان الامين العام للمؤتمر العمالي عضو جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل عبدالله عبدالمجيد الاصنج في مقابلته مع مراسل الصحيفة الانجليزية الديلي اكسبرس قائلاً: نحن ضد قتل النفس إلا أن هذا الاسلوب اصبح بالنسبة لنا أسلوبا ضرورياً إن العنف هو الوسيلة الوحيد التي نمتلكها في نضال محاولة الانجليز الحفاظ على تأثيرهم في هذه المنطقة مدعمين بنظام السلاطين العميل الذي لا يمثل الشعب ولا يتمتع باي احترام».

وفي ابريل عام١٩٦٧ م اصدرت قيادة جبهة التحرير منشوراً مكرساً لحركة تحرير الجنوب اليمن المحتل اكدت فيه مرة أخرى على تدعيم وتأييد خوض النضال المسلح حتى تقرير المصير طبقا لقرارات الامم المتحدة لعام١٩٦٥ م.

لقد كانت هذه الاجراءات ضرورية لقيادة جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل لتغطية سياستها المتواطئة مع السلطات الاستعمارية علماً بأن ميعاد منح الاستقلال السياسي للجنوب اليمني قد ازف وعليه فقد كان من الضروري تهيئة الأرضية المناسبة للحصول على الدعم الشعبي بهدف تسلم السلطة في الجنوب اليمني المستقل.

ففي يوليو١٩٦٤ م وخلال أعمال مؤتمر لندن الخاص بقضية التشكيلات الدستورية في عدن والمحميات أعلنت بريطانيا عن منح الاستقلال لعدن والمحميات في١٩٦٨ م واكدت عليه في فبراير١٩٦٦ م إلا أن الاحداث منتصف١٩٦٧ م غيرت كل الحسابات البريطانية خاصة بعد استيلاء الجبهة القومية على مدينة كريتر في ٢٠ يونيو١٩٦٧ م لمدة ١٥ يوماً وهذه العملية برهنت لبريطانيا على ان الجبهة القومية هي الممثل الشرعي لليمنيين والمهيأة لاستلام السلطة على إثر ذلك اندلع الصراع العنيف بين الجبهة القومية وجبهة التحرير والذي انتهى بتغلب الجبهة القومية خاصة بعد انضمام الجيش الاتحادي إلى الجبهة القومية.

كان لاستيلاء الجبهة القومية على كريتر اصداء واسعة داخل وخارج اليمن خاصة وقد خسرت القوات البريطانية ٢٢ قتيلاً و ٢١مصاباً وهذا دلل على الانهيار المحتوم للاستعمار البريطاني في اليمن.

مناخات انهيار

■ مع ان القوات البريطانية تمكنت من العودة إلى كريتر بعد ١٥ يوماً إلا ان تحرير كريتر كان دليلا على تهاوي حكومة الاتحاد الموالية لبريطانيا ويرى تريفاسكس المندوب البريطاني السابق أن حوادث يونيو كان بمثابة هزيمة ساحقة للبريطانيين واكثر سحقاً بالنسبة للحكومة الاتحادية التي كما يعتقد اكثرية العرب قامت بكل خيانة وغدر باستدعائها حلفاء اسرائيل إلى مقاتلة إخوانها العرب وذلك كان آخر مسمار يدق في نعش حكومة الاتحاد.

والواقع ان بريطانيا ادركت ابان احداث٢٠ يونيو ان الجيش والبوليست لن يحميا الحكومة الاتحادية الموالية لها وقد يقفان إلى جانب الثورة بكل ما لديها وهو ما حصل بالفعل.

وهذا ما دفع الجبهة القومية إلى البدء في تنفيذ خطة المناطق منتهزة بذلك مناخات الانهيار التي تأكدت بعد تمرد الجيش الاتحادي في ٢٠ يونيو الذي ساعد الجبهة على السيطرة على كريتر وقد تمكنت فصائل الأنصار بقيادة علي عنتر من تحرير إمارة الضالع في ٢٢يونيو١٩٦٧ م وإلقاء القبض على اميرها شعفل الذي قاوم الثورة لدى انطلاقتها الاولى في جبال ردفان.

وفي ٢٥ يونيو سقطت مشيخة الشعيب واعتقل شيخها وافراد اسرته وقبل ذلك كان الثوار قد نجحوا في تحرير كريتر كما سلف.

ولم تستطع القوات البريطانية عرقلة استيلاء مقاتلي الجبهة القومية على الضالع والشعيب لأنها كانت قد غادرت المناطق الداخلية وقد اوضح تريفليان المندوب السامي البريطاني بعدن الذي جاء بعد تريفاسكس ان بريطانيا قامت باجلاء قواتها من الداخل في آخر يونيو ١٩٦٧م وتركت مسئولية الأمن فيها لجيش الاتحاد وأوضح سبب نجاح الجبهة القومية في اجتياح معظم المناطق الاخرى خلال اسبوعين فقط من شهر اغسطس في الفترة بين ٢٨-١٢ اغسطس بقوله » أن بريطانيا بعد جلائها عن الداخل والانسحاب إلى عدن وجدت من غير العملي ان تعود بقواتها إلى الداخل لحماية السلاطين لأ هذه المناطق ستعود إلى السقوط مرة اخرى بعد جلاء القوات البريطانية.

لجنة شعبية

تمكنت الجبهة القومية من إسقاط بقية المناطق عقب سقوط الضالع والشعيب في شهري اكتوبر ونوفمبر١٩٦٧ م حيث قامت في ٢٧ اكتوبر بإسقاط مدينة الصعيد بشبوة معلنة عن سقوط مشيخة العوالق العليا وفي الأسبوع الأول من نوفمبر١٩٦٧ م تم للجبهة القومية السيطرة على عدن وضواحيها، وهي دار سعد والمنصورة والشيخ عثمان، وتمكنت في٢٩ نوفمبر من إسقاط مدينة نصاب لتعلن سقوط العوالق العليا وكان آخر معقل أسقطته هو جزيرة سقطرى في ٣٠نوفمبر١٩٦٧ م اي يوم جلاء آخر جندي بريطاني عن عدن واعلان الاستقلال.

وقد استخدمت الجبهة القومية في اسقاط المناطق أسلوب الالتحام الجماهيري وتحول التجمع الناتج عن هذا الالتحام إلى جيش تحرير يعمل على إسقاط المناطق إضافة إلى تغلغل الجبهة في صفوف الجيش الاتحادي والبوليس وبناء علاقة وطيدة ومستمرة مع الضباط والجنود ثم استخدام هذه الصلات بإسقاط المناطق كما تم في حالة إسقاط سلطنة القعيطي في حضرموت.

وعقب إسقاط الجبهة القومية للمناطق قامت بتشكيل لجان شعبية مدينة عسكرية للقيام بوظيفتي حفظ النظام والأمن وإدارة المنطقة بشكل ديمقراطي يكفل مشاركة أوسع الجماهير وقد اخذت السلطة في المناطق المحررة اسم »اللجنة الشعبية العليا للجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني«.

ولولا طمع المراهقين السياسيين في عدن بالسلطة وانشغال صنعاء بحصار السبعين وقتال فلول الملكية لتمت الوحدة المباركة في الثلاثين من نوفمبر ١٩٦٧م.

- ☐ كان أساس الخلاف بين الجبهة القومية وجبهة التحرير خلافاً طبقياً
- ☐ مشروع الجنوب العربي اقترحته بريطانيا لعزل جنوب اليمن عن شماله
- ☐ أول المناطق سقوطاً في يد الثوار الضالع ومن ثم الشعيب

العيد الثالث والأربعون للاستقلال يزهو بالمعاني العظيمة التي تجمع أبناء الأمة الواحدة في طريق المصير الواحد المشرق والمزدهر